

التبيان في تفسير القرآن

(55) قد ملك الله كثيرا من خلقه الامر والنهي والضر والنفع. ثم قال " ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا " معناه لا يخاصم في دفع حجج الله وإنكارها وجدها إلا الذين يجحدون نعم الله ويكفرون بآياته وأدلته. ثم قال لنبيه " فلا يغررك " يا محمد " تقلبهم في البلاد " أي تصرفهم لقولهم: لفلان مال يتقلب فيه أي يتصرف فيه. والمعنى لا يغررك سلامتهم وإمهالهم، فان عاقبتهم تصير إلي ولا يفوتونني. وفي ذلك غاية التهديد. ثم بين ذلك بأن قال " كذبت قبلهم " أي قبل هؤلاء الكفار " قوم نوح " بان جحدوا نبوته " والاحزاب من بعدهم " أيضا كذبوا رسلهم " وهمت كل أمة برسولهم " وإنما قال برسولهم لانه اراد الرجال. وفي قراءة عبداً " برسولها ليأخذه " قال قتادة هموا به ليقتلوه " وجادلوا بالباطل " أي وخصموا في دفع الحق بباطل من القول. وفي ذلك دليل على ان الجدل إذا كان بحق كان جائزا " ليدحضوا به الحق " أي ليبطلوا الحق الذي بينه الله وأظهره وبزيلوه، يقال: أدحض الله حجته. وقال تعالى " حجتهم داخضة عند ربهم " (1) أي زائلة. ثم قال " فاخذتهم " أي فأهلكتهم ودمرت عليهم " فكيف كان عقاب " فما الذي يؤمن هؤلاء من مثل ذلك؟ ! قوله تعالى: (وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار (6) الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت

(1) سورة 42 الشورى آية 16